إفلاس القمم بين عروبتها واسلامها

محمد البدري

مؤتمر القمة العربي مناسبة عابرة ومكررة كاعياد العرب ومواسمهم المملة خالية المعاني، لا يرجى شيء منه سوي سخرية تفوق سابقيه. اصحاب المضيفة، في دمشق قلعة الاسود، متحمسين لرفع رايات العزة والكرامة العربية التي لم ترفع الا بقدر ما أهانت المثقف بعد زيارات الفجر. وبعضهم ذاهب الي قلعة بديلة لقلعة بغداد المنهارة. وبعضهم سيذهب لقضاء حاجة أو واجب يصعب تاجيله أو للتسول من اغنياء المؤتمر. وسيحضر من ليس لديه قوله سوي حسبي اللّه ونعم الوكيل. وربما تشجع احدهم وقال الصدق وتمتم " شكر اللّه سعيكم، "لا ارانا اللّه عربا بعد اليوم" ولا عزاء للسيدات لانهن معطلات في بيوتهن تعففا وحشمة.

فمن عادة العرب الا يتحدثوا فيما هم فيه مختلفون. علاقاتهم افقيا ورأسيا، محليا وعالميا، مشكوك في صدقيتها. إنهم مختلفون في كل شئ لكنهم مصممون علي انهم امة واحده. فالحقيقة آخر ما يخطر على بال العربي لكونها مؤجلة اسلاميا الي يوم الدين مما جعله دينا عربيا بجدارة. حقائق العرب علي الارض اغتصابات متبادلة، اغتصاب المشايخ لعقول البسطاء الايمانية واغتصاب الحكام لحرية المواطنين واغتصاب نظم لنظم سياسيا وثقافيا وايديولوجيا. فياتي بوش الاب لمعالجة الحقيقة في الكويت ثم بوش الابن في العراق فيطلق أحد الأعراب عليه اسم " المحرر ابن المحرر". في لبنان حاليا ينتظرون المحرر ليحررهم من اخيهم العربي. فالعرب يقولون بالاخوة شرط ممارسة الاستحلال والاغتصاب. وعند الفشل يستدعي بعضهم الفرس والايرانيين لافتراع بكارة العروبة لتصل الي الاحشاء في لبنان. بينما العبث الوهابي المكبوت دينيا يمتد الي المناطق الامنة الاخري.

على هذه الارضية تكررت مصائبنا في الشرق الاوسط. ولم يعد ممكنا التعايش مع هذه الاوضاع الا بالانكار بانها خلافات أخوه. فتسدل الستائر باصدار مواثيق الاعلام وتشترى ذمم الفضائيات وتحاصر مصادر المعلومات. فرغم كل الاجراءات العربية عرف كثيرون كيف وجهت الدعوة لمؤتمر القمة الحالي لكبير شيوخ العرب وحملها مسؤول الهلال الاحمر كرمز لسيارة اسعاف عبرت بصدق عن الحالة العربيه ربما بعد فوات الاوان. فالعالم قرر الا يقدم شيئا للعرب. مؤخرا زارت ميركل المستشارة الالمانية اسرائيل ولم تتصل باي جهة فلسطينية. آمن الالمان بالقول " الحي افضل من الميت". واعتذروا بدموع غزيرة عن الهولوكوست ولم يذكروا ما يجري في غزة.

يقول ريتشارد جروسمان، السياسي المعاصر لحرب السويس " لسنوات عدة ظننا نحن البريطانيون اننا نحمل مهمة حضارية لنعلم العرب اساليب الديموقراطية البريطانية". لكن العرب يثبتوا دائما بانهم ليسوا بحاجة اليها ولا لأي شئ سوى الغذاء والكساء والامن وكل وسائل المتعة.

مأزق العرب انه لا سند لهم عالميا. العالم لا يقبل الطغيلين ولا يسمح بشئ مجاني. فالعرب لهم مطالب لكن جدارتهم بما يطالبون به موضع شك. فلا يمكن اعتبار الشعوب رعايا وتوابع لا صلاحية لهم ثم تطالب الحكومات بمصلحة السلطات ولا تعتقد أن شعوبها ثروة. حدد سايكس وبيكو للعرب مساحات جغرافية تسمي اوطانا لاول مرة في تاريخهم. ثم جاء الامريكان بكل زخمهم التكنولوجي والعلمي ليكون للعرب ثروة طائلة بدلا من نظام الجزية والجباية وتصبح المنطقة تعج بالغني. لقد لبي العالم مطالب العرب، فماذا قدم العرب سوي الفقر في الثقافة والفكر.

كان انقسامهم واضحا بين مداهنة الحلفاء او مداهنة النازية. فأمين الحسيني دعي لهتلر بالنصر من فوق منبر مسجد برلين في الحرب العالمية الثانية. بعدها تعلقت القومية العربية بالاتحاد السوفييتي متطفلين عليه منافقين له دعما لسلطانهم وليس قناعة بايديولوجيته. كان العرب بمجموعهم منقسمين بين ولهان في حب الغرب الانجلو ساكسوني او شتام له وبين مداهن للاتحاد السوفيتي ومحاربا لشيوعيته جهرا او في الخفاء. كان موت المثقفين من اليسار بابشع الوسائل تصل لعبد الناصر أثناء لقائه باصدقائه من قاده العالم الثالث وعدم الانحياز كرسالة ولاء للعالم الاول.

الحيرة التي تصيب القارئ لتاريخ العرب انهم يعملون بدون فكر واضح وفلسفة محدده إنما بعقلية المؤامرة. فهم يبدؤون بالمطالب بينما يعطلون طاقتهم الداخلية. وهو امر موروث من زمن التعول علي شعوب المنطقة منذ الفتح. لكن مشكلتهم الحقيقية هي غياب الفكر كاساس للعمل، فلا عمل دون فكر. فالعرب لم يظهروا الي واقع التاريخ الا بحجة الاسلام. أي عبر صراع العقائد وليس خلال ضمان البحث عن المستقبل. فأن يتصدر الاسلام ساحة الحوار أو الصراع تجعل لحظة التوازن بين الاطراف مستحيلة فالطرف الآخر علماني لا يضع لنصوص الاديان اعتبارا. ولا يتخذها برهانا. فلو بحثنا عن مصدر كل ما هو فكر عربي لما وجدنا سوي الجاهلية والشعر الجاهلي. أما في الاسلام فالقرآن ذاته فهو في حاجة دائمة الي التفسير كلما تغيرت الاحوال وتبدلت الامور وما اكثرها وتتابعها. بمعني انه وتفسيره الخاص به اصبح تابعا للاحداث وليس قائدا أو مشاركا فيها. فهو كسلاح يصلح دائما للحظة الماضية وليس للمستقبل. فالنص نظريا يفسر لتبرير احداثا وقعت ولا يستشرف مستقبل قادم. عمليا هو في حاجة دائمة لمن يشرح. فاعتماد الاسلام كمتحدث ومحاور او العروبة كايديولوجيا ينفي قدرتنا علي فهم ما يجري. فرغم حفظ الناس للقرآن فهو يحتاج دائما لمشايخ تبحث عنهم السلطة لاقناع ما يردده الناس حفظا. أي ان عقل المسلم دائما خارجه. لهذا تتحرك الجماهير عمياء وراء كل من يؤججها ويشحن عواطفها وحسب تفسيره هو. بعد الكارثة ياتي الصحفي المؤدلج قوميا ليشرح ان الامر مجرد نكسة!! ويسجد الشيخ حمدا للّه، فيصدق الحافظون للنص المفتقدين للمعني.

جاء النص وتفسير الاوائل له ليتفق ومفاهيم جاهلية العرب، وإلا لما قبلوه. وفسروه زمن الامويين، واضافوا احاديث لتتفق وذلك العصر وتكرر الامر مع العباسيين وغيرهم. الان يقوم بالمهمة مشايخ مدعومون من القادة المختلفين في مؤتمرات القمة، فتتنوع فوضي الفتاوي وخرافات المفسرين. ويسعي بعض رجال الدين والدعاه بفقرهم العلمي الشديد لتوفيق النص مع منجزات العصر (الحقيقة العلمية) مثلما يحاول القاده توفيق اوضاعهم مع القوي العالمية (الحقيقة التاريخية) كل بلا جدوي. فالسياسي والديني يتحايلون، جميعهم مختلفين وفي ذيل الاحداث.

نرى فوضي العروبة في القمة ونرى فوضي معاني النص بين الدعاه. فكلما سارع مفسر ليتفق مع ما يستجد اسرع العلم والعالم الي الامام لتلهث السلطات وراءه بمفسرين جدد. اليست الصورة مشابهه لصورة مؤتمرات القمة؟ ولنتذكر كيف كان الاسلام راسماليا وتحول الي الاشتراكية برفع الناس درجات وبين سواسية الناس بالتقوي. وكيف كانت اللاءات ثم المبادرات ... الخ. قام النص الديني دائما بتبرير سلوكيات العرب. فهل ضعف العرب كامنا في طبيعتهم التي املت عليهم اسلوبا اسلاميا تابعا؟ أم انهم طوعوه عربيا؟ وهل الاسلام كدين عربي يصلح لباقي الاعراق والحضارات؟

صدقية العرب وقدرتهم للتقدم، محل رثاء. ينظر باقي العالم اليهم ويقول " لا هم حلفاء حقيقيون ولا هم اعداء شرفاء". يقودهم فكر لو سلمنا به لاصبحنا متخلفين مثلهم. سرعان ما يتحولوا من النقيض الي النقيض بينما العالم لا هدف امامه سوي الامام. يري العالم معارك العرب داخليا اعلي صوتا، وقرقعة مؤتمراتهم اشد ضجيجا بتحريك المحرمات والمقدسات كآخر ورقة توت خصفوا بها علي عوراتهم حتي وصلوا الى احداث الحادي عشر من سبتمبر.

هنا يمكن فهم لماذا بدات حروب اخري كالصور الدانمركية او مواقع السب في الاسلام وتشويهه. فالاسلام ادخله العرب في الحرب مرات عده ليكون سلاحا في اليد الامريكية بالتحالف السري معها لحرب السوفييت انتهاءا بافغانستان بعد استخدامه كساتر ضبابي يمكن به تمرير نتائج حرب 1973. فالاسلام كاداة حرب بات عرضة لتهكم الاخرين. أما بعد 11 سبتمبرفقد جعله العرب بلا قدسية، فهل يدرك العرب لماذا خرجت الرسوم الدانمركية؟ كان كسلاح وليس دينا أضر بالسوفييت والامريكان وباهل الداخل، فماذا يتوقع العرب، ومن الذي وضعه موضع الاهانة؟

كان إعاده النشر علي نطاق اوسع هذه المرة، فالعالم يري المنطقة باسرها تعج بالاسلام مع اغتصاب عربي او استباحة اسلامية، لا حريات بها، افضل عناصرها الابداعية مطروده في الخارج. نصر ابو زيد، نوال السعداوي، احمد زويل، مجدي يعقوب، أحمد صبحي منصور. ومن فضل البقاء طالته رصاصات الغدر او سكين في الرقبة كفرج فوده ونجيب محفوظ. او بالتهديد والوعيد كسيد القمني وسعيد العشماوي. فإذا كان السلاح الاخير للعرب بهذا العسف ضد اهله فهل من مردود له عند الغرب إذا ما احتضنه وأواه؟ وهل ستتصارع النظم بمشاكلها في القمة أم سيظلوا أخوه يستبيح الكبير الصغير ويطالبون باحترام الاديان وما لا يستطع معه العالم صبرا؟

كاتب مصري

التفكير وحصار التفكير

شتيوي الغيثي

كنتُ قد تفاءلتُ كثيراً حينما ظننتُ أن مرحلة التكفير قد تلاشت من مجتمعنا منذ سنوات، أو على الأقل في الحراك العام المرصود؛ خاصة داخل المؤسسة الدينية المحلية الظاهرة على السطح، ولم تتبق إلا حالات التكفير التي يطلقها خفافيش الظلام في منتديات الانترنت، أو عند محرضي الإرهاب أو العمليات "الجهادية/ الإجرامية" ضد الآمنين من الناس، وهما حالتان لا يُعول عليهما كثيراً،ولا يُلتفت إليهما كونهما تنطلقان من بؤرتين مشكوك فيهما لا من الناحية الفكرية ولا من الناحية الأمنية.

حتى اكتشفت خطأ تفاؤلي المبالغ فيه مع فتوى تكفير الكاتبين عبداللّه بن بجاد، ويوسف أبا الخيل مما أعاد عجلة الإصلاح الديني إلى الوراء، حتى جعل الكثير من المثقفين يعودون إلى الإحباط من جديد، وهو إحباط بدأ في الظهور منذ سنة ونصف تقريبا مع التراجع الخطير في الحريات العامة والحرية الإعلامية: المرئية والمقروءة والإلكترونية بشكل أخص.

يبدو أن ذهنية التكفير أعقد مما كنا نتصور، إذ أن تأصيلها وثقلها التاريخي يجعل منها أكثر عمقاً وأكثر جذرية ضاربة في أعماق التاريخ الكهنوتي يعود بها إلى لحظاتها الأولى من الشعور الإيماني البشري وليس هذا خاصا بالرؤية الإسلامية عن غيرها بقدر ما هي رؤية التفكير الديني عموما في كل الأديان التوحيدية تقريباً خاصة بعدما تتحول الديانة إلى مؤسسة كهنوتية سلطوية كما حصل في تاريخ الكنيسة تجاه الأديان الأخرى أو تجاه ما أسمتها بـ"الهرطقات" ذات الرؤية العقلية في رؤيتها للوجود، ومعالجتها لابد من أن تطلق من أصولها الأولى، وهي الأصول التي تحتاج إلى أعادة نظر في مسلماتها وتفكيكها تفكيكاً معرفياً، وهذا باعتقادي ما حاول الكاتبين المذكورين أن يتعاملا من خلاله في رؤيتهما الجديدة للرؤية الدينية تجاه الآخر، وهي رؤية تتجاوز كثيراً الاعتقاد السائد في النظر إلى الأخر المختلف مذهبيا أو دينياً، وهي رؤية عميقة جداً (خاصة لدى يوسف أبا الخيل)، تحاول أن تعتمد النص كونه يحظى بمرجعية وثوقية لدى العموم الإسلامي، وإن كانت لا تأخذ النص بحرفيته وتصريحه المباشر بحكم معرفتها بتاريخيته التكوينية، بقدر ما تستنطق أبعاده الدلالية، ومقاصده الكلية، وتفجير طاقته التعبيرية، كما هو وصف بعض مفكري الحداثة العربية (إن كانت لدينا حداثة عربية)، وهو العمل الحقيقي _ في رأيي _ لإعطاء قيمة حقيقية للنص الديني بكافة تراتبيته التقديسية في المخيال الديني العام للشعوب العربية والإسلامية.

الديانات التوحيدية الثلاثة إبراهيمية الأصل، وكونها إبراهيمية الأصل فإنما تنطق من نقطة واحدة وتتفرع لأكثر من فرع، تماماً كما هي المذاهب الإسلامية المختلفة، فقد كان المنطلق واحداً ، والفروع تختلف، ومن هنا فإن محاولة إعادة ربط الفرع بالأصل هي محاولة للبحث عن المشترك الديني والمذهبي في نوع من التقارب وردم الهوة بين الأطراف، وحينما يؤصل ذلك معرفياً فإن هذا الربط يصبح أكثر عمقاً وأصلب متانة؛ لكن تبقى المؤسسة الكهنوتية في كل الديانات بعيدة جداً عن هذا التفكير وهذه الرؤية المعمقة، ويصبح التفكير من خلال ذلك نوعاً من الكفر والزندقة يستوجب حد الردة.

إن قراءة بسيطة لمنطلقات الديانات التوحيدية يمكن لها أن توجد أرضية مشتركة بينها جميعاً مع إقرار الاختلاف الكبير بينها، وحينما يحاول البعض أن يفكر من خلال النص الديني ويستنطق دلالاته في محاولة ردم الهوة بينها، فإن ذلك يستوجب الاحترام مهما كان اختلاف الرؤية وكان من المفترض أن يكون احترام من يجتهد أولى من تكفيره، وإذا كان حال الفكر الذي يحاول أن يؤصل الأمور من خلال النص فما بالك بالفكر الذي يتجاوز النص لإعطاء رؤية متجاوزة للرؤية الدينية..؟!.

حصار التفكير من خلال التكفير حصار خطير جداً يجعل من محاولات الاجتهاد الفكري أو الديني في حال من التراجع الكبير، وهذا ما هو مشاهد تاريخياً منذ أن تحولت المنظومة الدينية الإسلامية إلى دوغمائية طويلة المدى، أنتجت ما سمي بفترة الانحطاط التي أنتجت هي أيضاً المنظومة المدرسانية الدينية المغلقة حتى فترتنا هذه ولم تنفع كافة السبل التنويرية باختراق هذا الحصار حتى الآن، وإذا كان حسب الرؤية الفقهية العامة، أن الاجتهاد ليس إلا في الأمور الفقهية فإن إقفال الاجتهاد العقائدي أيضا له الدور الأكبر في إقفال الإجتهاد الفقهي، إذ أن هذين الأمرين: الفقهي والعقائدي.. مرتبطان ارتباطاً وثيقاً تثبته وقائع التاريخ، ولعل المتصفح لتاريخ الفكر الإسلامي (المحايد طبعاً) سوف يدهش من كثرة الاختلاف العقائدي الذي أنتج الاجتهاد الفقهي في فترة العصور الذهبية الإسلامية، إذ أن المنطلقات الفكرية: العقائدية أو غيرها، دائما ما تؤثر في الرؤية الفرعية، فالمقدمات الصحيحة تقود إلى النتائج السليمة حسب النظرة الديكارتية الصارمة، والجدل الكلامي كان أحد محركات الحضارة الإسلامية، وحينما انهار الجدل انهارت الحضارة الإسلامية كافة، كون الأفكار هي المنتجة للحضارة، تماماً كما هو في الفكر الأوروبي، فلولا الفكر لما قامت الحضارة الغربية المعاصرة.

إن محاولات التفكير في خضم الحصار الذي يضربه الفكر التقليدي محاولات ذات ثمن باهظ ليس أقله فتاوى التكفير والحكم بالردة؛ بل يطال كافة المستويات: الشخصية، والفكرية، والحضارية. إذ أنه يجعل عملية التفكير محدودة محاطة بسياج قوي يمنع مرور الضوء إلى العين قبل أن يترجمه العقل صورة ذهنية، ومن هنا فسوف يبقى الحصار شديد المنعة حتى يتم تفكيك الذهنية التكفيرية في أصولها المعرفية قبل أي شيء آخر.

ويجب ألا تمر فتاوى التكفير هكذا دون أن يسلط عليها ضوء النقد والنقد الجريء بدأ من الفكر الديني ذاته، حتى لا يكون لعبة في يد كل من له سلطة دينية لخطورة المسألة، وإلا عدنا إلى محاكم التفتيش من جديد، والتصفيات الجسدية التي حصلت طيلة تاريخ الفكر الإسلامي، خاصة من قبل من يتصور ذاته حارس العقيدة من صغار السن كما حصل لنجيب محفوظ رحمه اللّه، ذلك أنهم وقود سريع الاشتعال في يد من يوجههم إلى أي عملية، والتفجيرات التي حصلت في السعودية كانت تبدأ في شحنها الأيديولوجي من منطلقات التكفير.

كاتب سعودي

حوار لا تنقصه اللكمات

سعيد الحمد

العنصر الرئيسي في أي حوار ليس الجواب، وإنما هو السؤال؛ فإن صاحب الحوار الحقيقي هو صاحب السؤال وليس صاحب الجواب.

هذا ما كتبه الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل وهو ما يتفق معه فيه معظم المحاورين المعروفين بنضج حواراتهم وأهميتها..

فالسؤال هو الأرضية التي ينطلق منها الحوار وتتحدد مساراته واتجاهاته وعمقه أو سطحيته، ثراؤه إفراغه السؤال بفتح الفضاء أو بغلقه وبصوغ محاور الحوار بالجدية أو بالسطحية البائسة.

لكن، وكما يبدو أن بعض فضائياتنا العتيدة خصوصا «الرسمية» لم تستطع حتى الآن استيعاب وفهم هذه الأهمية «للسؤال»، وإدراك الدور الذي يلعبه السؤال والسائل أو المحاور التلفزيوني ولم تدرك أهمية كفاءة الأسئلة..

فالدور الذي يقوم به «المذيع» الآن هو مجرد إلقاء أسئلة لملء الفراغ، حيث يهدر الحوار هدرا بل ويذبح ذبحا على يدي المذيع الفضائي رجلا كان أم امرأة. بمفهومه الضيق والقاصر عن دور السؤال في الحوار، يعتقد المذيع الفضائي أن «الضيف» سيتكفل بالمهمة ويتحمل عبء الحوار من الألف إلى الياء، ويتصور أن الأسئلة تحصيل حاصل، لذلك فهي تأتي مكررة ومعادة ومستهلكة ومملة، بل وبليدة في معظم الأحيان، ناهيك عن سطحيتها وخوائها أمام «ضيف» مفكر أو باحث أو كاتب كان يمكن استثمار فرصة وجوده لإثراء الفكر واغناء التفكير العام الذي يتابع ما يسمى «حوارا».. الفرصة تضيع وتتبدد على أيدي هذه النوعية من المحاورين غير القادرين وغير الواعين أساسا بأهمية الثقافة والتحصيل المعرفي لتأسيس «مذيع» مثقف يدير حوارا على مستوى العصر مع ضيف كان بالإمكان تداول ومناقشة أهم القضايا، التي يبدو أن مذيعي ومذيعات بعض فضائياتنا العربية لا يعيشونها ولا يتعلمون ولا يعلمون عنها شيئا. والطامة الكبرى إن هؤلاء المذيعين والمذيعات لا يكتفون «بتسميع» أسئلتهم المتهالكة ويتركون للضيف محاولة «تعديلها» وتصحيحها وتقويمها ثم ينطلق بالحوار إلى مسارات يمكن أن يستفيد منها المشاهد، بل نراهم يتدخلون ويقحمون أنفسهم بين كل عبارة وإجابة للضيف؛ فتسمع ملاحظاتهم وتعليقاتهم التي تأتي بما لا يمت بصلة إلى ما يقوله الضيف غير المحسود والذي ترتبك أفكاره وتسلسل منطقه..

وهكذا تتبدد فرصة كان يمكن استثمارها جيدا لو أن المذيع استطاع أن يفهم أهمية السؤال..

لكن كيف له أن يفهم.. ففاقد الشيء لا يعطيه ورحم اللّه مثلنا الشعبي العميق «لو كل من جاء ونجر، ما ظل في الوادي شجر»!!

ومن جانب آخر سوف نلاحظ أن مثقفنا العربي من أكثر الناس مطالبة بالحوار بين الرأي والرأي الآخر.. فلا يخلو خطاب واحد له من هذه «الكليشيهه» الجميلة.. لكن حين تتاح له الفرصة لحوار مع رأي آخر، ومع صوت مغاير، يعود هنا المثقف إلى بدايته الأولى؛ فيخلع الأقنعة «الحضارية» الزائفة لتبدو لنا الأنياب ويرمون قفازاتهم لتبدو لنا المخالب.. فيدور حوار الغاب بين أهل الفكر والثقافة وحملة الأقلام.

شاهدت مؤخرا «حوارا» أو ما يسمى «حوارا» اتهم فيه أستاذ وباحث وأكاديمي سابق ورئيس مركز بحوث، اتهم كاتبا صحفيا مخالفا له في الرأي بـ «الكذب» هكذا صراحة إمام جمهور عريض من الحاضرين، ناهيك عن المتابعين للحوار المنقول مباشرة من إحدى الفضائيات العربية. فما كان من الكاتب الصحفي إلا أن انطلق هو الآخر وعلى ذات النسق ليرد له الصاع صاعين وبنفس الأسلوب، وربما بنفس الكلمات والعبارات والتوصيفات وتحول «الحوار» إلى «صراع ديكة» الغلبة فيه للأعلى صوتا لا للأصوب رأيا.

وقبلها بأيام معدودة شاهدنا شابا أصوليا يكتب ويتحدث في الاتجاه الاسلاموي الاخواني يصف «حوارا» له مع صاحب رأي مختلف لتوجهاته وأفكاره الأصولية، فيقول بالحرف الواحد واصفا الموقف والحوار «وبدأ القصف»!!

فكيف تنسجم مطالبات مثقفنا بالحوار مع الرأي المغاير وواقع ممارساته ومسلكياته في «الحوار» حين تجمعه «الصدفة» بصاحب رأي مختلف يعارض رأيه، ويختلف مع طروحاته ومع تفسيراته وتحليلاته وقراءاته وموقفه الفكري. لقد تابعنا مرارا وتكرارا «شجارا» لا حوارا واتهامات مجانية يتبادلها طرفا الحوار المزعوم..

ثم كيف لمثقفنا ان يصوغ عقلَ ووجدان جيل جديد نتطلع إليه كمثال للثقافة والوعي في عصر العولمة، وهو يرى ويتابع «مثقفه» ينزلق عند أول تجربة «حوار» إلى هذا المستوى البائس والفاضح من الشتم واللكم واللعن.

ومن جانب آخر سوف نلاحظ بلا كثير عناء أن بعض فضائياتنا قد بلغ بها إفلاس برامجها مستوى ينذر بكارثة حقيقية فآخر واحدث ما خرجت به بعض هذه الفضائيات من ابتكار البرامج المفلسة هو ذلك البرنامج الذي يتلقى المكالمات والفاكسات التي يذكر فيها المشاهد اسمه لتقوم المذيعة مباشرة وفي نفس اللحظة بتحليل شخصية صاحب الاسم وتفسير طبائع هذه الشخصية ومزاجها، لتصل إلى قراءة وعرض حاضرها والتنبؤ بمستقبلها.

هكذا بمنتهى الاستعباط الفاضح ما إن ينطق المشاهد باسمه حتى يتم تقديم جردة حساب عن ماضيه وحاضره ومستقبله أيضا، والأدهى والأمر هو ذلك الإقبال المنقطع النظير من المشاهدين والمشاهدات على مثل تلك الترهات البرامجية العجيبة

ولا ندري من نلوم ومن نحمل المسؤولية في هكذا أوضاع وأمام هكذا برامج «عبقرية» أين منها برامج فضائيات الدول المتقدمة. إننا أمام ظواهر فضائية «فلته» لا ندري إلى أين «ستفلتنا وستفلت» أجيالنا الجديدة، لا سيما وأنها أجيال لا تقرأ ولا تفتح كتابا بقدر ما هي مشدودة إلى فضائيات آخر زمان وهي الفضائيات التي وصل بها الحال إلى ما وصل، فهل نرجو وهل نتطلع إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه؟

صحفي بحريني

أخرجونا.. من الجحيم!

خليل علي حيدر

أربعون.. خمسون.. ستون عاما من الدم والدبابات، ومن الحروب والمقاومة، ومن المباني المنهارة، والمعنويات المتهالكة، ومن البكاء والعويل، ومن القتلى والمشردين.. نصف قرن ونيف من الحروب والمظاهرات وحرق المحلات وقصف الطائرات والانقلابات ويعيش فلان ويسقط فلتان، والمجد للعرب والخزي لاعدائهم..

نصف قرن وزيادة من التجنيد الالزامي، من رصد الملايين لاسلحة لن تستخدم وان استخدمت فستزيدنا دمارا، من إهمال كل مظاهر الحياة المدنية والاستقرار السياسي والتطور الإقتصادي »دفاعا عن شرف الامة« و»تصديا لكيد الاعداء« و»وقوفا في وجه المؤامرات«. والف شعار كاذب اخر!!

نصف قرن من تفجر الحروب والصراعات في مصر وفلسطين، ولبنان وشمال افريقيا، والعراق والخليج. حروب تدوم سنوات طويلة ضحاياها بعشرات ومئات الألوف. حروب تنتهي بسرعة خسائرها بالملايين والمليارات، شباب الأمة تحت السلاح، عقول الامة مكبلة بمستلزمات الكفاح، كل البلدان تتقدم وتزدهر والعرب والمسلمون من حرب الى حرب، ومن أزمة الى أزمة ومن عملية ارهابية الى عملية ارهابية ومن جبهة الى جبهة ومن مجموعة جهادية واسلامية الى مجموعة جهادية واكثر اسلامية.

المغربي يلطم على خديه بسبب تفجيرات الدار البيضاء، الجزائرية الثكلى تبكي ابناءها واخوتها الذين قتلتهم »جماعات الدعوة والجهاد« ورمت بجثثهم في بئر بلا قرار، مصر تتعثر بين دعاة الحرب ودعاة السلام، بين من يريد بناء عشرة آلاف مدرسة ومصنع ومن يريد إرسال عشرة آلاف مجاهد الى لبنان، السودان تنتهي من حرب الجنوب لتغوص في حرب دارفور، الاردن على اعصابها بسبب الوضع في فلسطين، وبسبب الارهاب الداخلي، وبسبب فواتير الخبز والنفط والبطالة. »المقاومة الشريفة« تدمر مستقبل العراق، وقوى الارهاب تتفنن في تفجير الاسواق وقتل البشر، عشرات التنظيمات البالغة الخطورة تهدد مختلف دول الخليج والعراق ومصر وكل العالم العربي. بينما تلاحق قوى مكافحة الارهاب الدولية آلاف العرب والمسلمين.

كانت لبنان وردة جميلة وواحة يانعة، واذا بها اليوم بين ليلة وضحاها ركام من الخرائب والدماء والبكاء المتصل على شاشات التلفاز وفي كل مناطق البلاد. كل العرب والمسلمين لا يكترثون على الاطلاق بكارثة الدمار والحرب والموت في لبنان..إنهم يكذبون! فالمهم »شرف الأمة« و»الصمود« و»المقاومة« و»التصدي لمشروع الشرق الاوسط الجديد« .. وألف شعار كاذب جديد! هكذا كان العرب والمسلمون يصرخون في وجوه عقلاء فلسطين عام 1948، وعقلاء مصر عام 1974، وفي وجوه الكويتيين عام 1990، والعراقيين عام 2003، واليوم في وجوه اللبنانيين! الكل يصرخ في المظاهرات: »لا يهمنا الدمار«، »لا يهمنا الموت«، »لتستمر الحرب عشر سنوات وحتى لألف عام«! فنحن أمة كتبت اسمها بالموت والدم والبارود. لدينا في الواقع من كل هذا كمية هائلة بدأنا منذ فترة بتوزيعها على الآخرين، وتصديرها إلى أوروبا والولايات المتحدة! أين المخفر؟ أين الخليفة؟ أين مجلس الأمن؟ اريد ان اقول انني اريد ان اسلم سلاحي لاقرب جهة تجمع السلاح والذخيرة! أريد ان اقول ان الناس في كل العالم العربي وفي دول العالم الإسلامي، شبعت من الدم والعنف والقتال ومناظر القصف والدمار ورؤية النساء البواكي اللواطم!

أريد أن اصرخ بالعرب والمسلمين يا ناس بس!! يا أهل القتال والنضال والجهاد والكرامة كفى! لقد تدمرت حياتنا داخل بلداننا.. وفرنسا وبريطانيا التي قاومنا استعمارها تقف اجيالنا الجديدة طوابيراً طوابيراً على أبواب سفاراتها طلبا لتأشيرات الهجرة، واميركا التي نحرق أعلامها في كل مظاهرة هي التي تحمي السلام بين دول العالم العربي، ودول العالم الإسلامي، والكثير من دول العالم الثالث.. الكافرة!

لقد تدمرت كذلك حياتنا خارج بلداننا، فقد كانت صورة العرب والمسلمين والاسلام زاهية قبل قرن ونصف قرن، وكانت مساجد لندن وباريس ونيويورك بيوت اللّه واليوم انقلبت الصورة رأساً على عقب، وتقاسم مسلمو الأحزاب والتنظيمات الغنائم قبل تحقيق النصر!

لا نريد ان نخوض »معركة الشرف !!

لا نريد ان نصمد في »جبهة المقاومة!!

لا نريد ان تتدمر حياتنا وتنهدم بيوتنا ويموت أطفالنا وتنهار جسورنا وترمل نساؤنا وتسيل دماؤنا في معاركك المتلاحقة التي تشنونها بلا اكتراث وتخرجون منها بلا اتعاظ!

نريد لخمسين عاما قادمةان تستقر بلداننا، ان نجرب الهدوء والأمان والمسالمة، نريد ان ينمو زرعنا، وان يمتلىء ضرعنا، وان تثمر أشجارنا، وان يباع محصولنا، نريد ان ينخرج شبابنا، وان تتزايد مدارسنا وجامعاتنا وبنوكنا، وان تزدهر مدننا واسواقنا.. وان نستمتع بالحياة!

نريد اننستعيد كرامتنا المتحضرة، وسمعتنا المسالمة الطيبة.. التي داستها خيولكم وعرباتكم!

لا نريد الحرب، لا نريد القتال، لا نريد الموت والدمار. لا نريدعالمكم المتفجر الدامي يا أهل الحرب والجهاد. لا نريد هذا العالم المتفجر الدامي الذي يقطر بؤساً وشقاء ودماراً، العالم الذي تدوي في جنباته صرخات النساء الثكلى واستغاثة الأطفال المرعوبين وأنين الجرحى المشرفين على الهلاك. لا نريد.. لا نريد..

كاتب كويتي

رسولنا يقرأ ويكتب ويحسب

فيصل الصوفي

الصورة التي رسخها النصوصيون وعبّاد المأثورات، وأولئك حسنو النية سيئو الأمانة عن الرسول محمد صلى اللّه عليه وسلم، وأنه رجل يعاني من الأمية الأبجدية، وقد أخذوا من القرآن كلمة أمي والأميين التي وصف بها الرسول وقريش دليلاً على أن النبي كان لا يحسن القراءة والكتابة وأن العرب أمة أمية.. والمثير للدهشة أن هذه الصفة تسوق لأمة محمد عبر الكتب المدرسية والخطب والكتب على سبيل الافتخار أو تمجيد الأمية.. وعندما يأتي إمام مثل القرطبي أو الطبراني أو كاتب معاصر لينفي الأمية عن الرسول يشغب هؤلاء في كل الاتجاهات مستنكرين ومرددين مقولات تمجد الأمية.

وكون الرسول يوصف بأنه لا يقرأ ولا يكتب فهذه من الأمور المنكرة، فالأمية ليست ميزة ولا معجزة .. والذين قالوا إن كلمة أمي في القرآن تدل على أن الرسول كان لا يقرأ ولا يحسب ولا يكتب أرادوا بذلك أن يسقطوا مزاعم القائلين إن القرآن كتبه محمد، رغم أن قريش لم تتهمه بكتابة القرآن بيده.. رغم علمها أنه يقرأ ويكتب ويحسب، بل زعمت أن الرسول كان يتلقى أخبار وقصص الأولين من أناس يستكتبهم وخاصة أهل الكتاب.

إن كلمة أمي في القرآن أطلقت على الرسول بوصفه رسولاً إلى الأميين، أي الذين لم يكن لهم كتاب ورسول مرسل مثل اليهود والنصارى.. أما تفسير كلمة أمي بمعنى عدم إجادة القراءة والكتابة والحساب، فهو تفسير تنقصه وقائع تاريخية.. فعندما أرسل اللّه رسوله كان عرب قلة خاصة في قريش يعرفون القراءة والكتابة والحساب، وكثير منهم على هذا الحال بما في ذلك الرسول محمد الذي عرف أنه اشتغل قبل الرسالة بشؤون المال والتجارة في مكة والشام، وهي مهنة لم يكن ليتفوق بها ويجيد أمورها لو كان لا يحسب ولا يكتب ولا يقرأ.

ثم هناك مرويات عن وقائع تاريخية مثل الاتفاقيات وكتابة القرآن تذكر أن الرسول كان يقول للكاتب: أمح هذه الكلمة وضع مكانها كلمة كذا.. وهذه الآية مكانها في سورة كذا .. ومثل هذا لا يقوم به إلا من يقرأ ويكتب.. ثم هذا جبريل يقول للرسول: اقرأ.. فهل يطلب ذلك من رجل لا يعرف القراءة .. الطريف أن الذين وجدوا حجة القائلين بهذا قوية احتالوا وذهبوا إلى القول إنه كان كذلك، لكن عندما نزل الوحي أمره اللّه أن لا يقرأ ولا يكتب!